الصورة الشعرية في (قصيدة المعهد العلمي) للتجاني يوسف بشير (دراسة تحليلية)

إعداد

أحلام طه وداعه الله

أستاذ مساعد ،قسم اللغات والعلوم الإنسانية ،جامعة القصيم

المستخلص :

يتناول هذا البحث دراسة الصورة الشعرية في قصيدة التجاني يوسف بشير، مع التركيز على تحليلها كمرآة عاكسة للذات الشاعرة في ظل أزمة نفسية عميقة.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تقسم إلى ثلاثة مباحث، يتناول الأول الصورة الشعرية كتعبير عن التجربة الذاتية للشاعر، من خلال تحليل صور الحنين والألم والتحدي، ويركز المبحث الثاني على الصورة كأداة للتعبير عن الواقع الاجتماعي والفكري في السودان في تلك الفترة، من خلال تحليل صور الصراع بين قوى التجديد والتقليد، أما المبحث الثالث، فيدرس الصورة كأداة للتأثير في المتلقي، من خلال تحليل الصور التي تثير المشاعر والعواطف، وتقنع بوجهة نظر الشاعر. ويهدف البحث إلى إبراز خصوصية الصورة الشعرية في قصيدة التجاني، وكيف استخدمها الشاعر لتجسيد أزمته النفسية، والتعبير عن مشاعره وأفكاره، وكشف معاناة المثقفين في تلك الفترة، وصراعهم من أجل حرية الفكر والتعبير.

الكلمات المفتاحية : الصورة الشعرية ، قصيدة المعهد العلمي، التجاني يوسف بشير.

The poetic image in (the poem of the Scientific Institute) of Tijani Youssef Bashir (Analytical Study)

Abstract:

This research deals with the study of the poetic image in the poem of Al -Tijani Youssef Bashir, with a focus on its analysis as a mirror of the poet in light of a deep psychological crisis.

The nature of the study required to divide into three topics, the first deals with the poetic image as an expression of the poet's self - experience, by analyzing the images of nostalgia, pain and challenge, and the second topic focuses on the image as a tool to express the social and intellectual reality in Sudan in that period, by analyzing the images of the conflict Between the forces of renewal and imitation, the third topic, studying the image as a tool for influencing the recipient, by analyzing images that excite feelings and emotions, And convinced the view of the poet. The research aims to highlight the privacy of the poetic image in the poem of Al -Tijani, and how the poet used it to embody his psychological crisis, express his feelings and ideas, reveal the suffering of intellectuals during that period, and their struggle for freedom of thought and expression.

Keywords: poetic image, poem of the Scientific Institute, Al -Tijani Youssef Bashir.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تُعد الصورةُ الشعريةُ من أهم العناصر التي تُسهم في جمالية النص الأدبي وتأثيره؛ وفي هذا البحث، نتناول دراسة الصورة الشعرية في قصيدة التجاني يوسف بشير، مع التركيز على تحليلها كمرآة عاكسة للذات الشاعرة في ظل أزمة نفسية عميقة.

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز خصوصية الصورة الشعرية في قصيدة التجاني(المعهد العلمي)، وكيف استخدمها الشاعر لتجسيد أزمته النفسية، والتعبير عن مشاعره وأفكاره، وكشف معاناة المثقفين في تلك الفترة، وصراعهم من أجل حرية الفكر والتعبير.

تواجه هذه الدراسة بعض المشكلات المنهجية، مثل صعوبة تحديد المعنى الدقيق لبعض الصور الشعرية، وتعدد التأويلات المحتملة. ولكننا نسعى إلى تجاوز هذه المشكلات من خلال الاعتماد على منهج تحليلي نقدي، يجمع بين قراءة النص في سياقه التاريخي والاجتماعي، وتحليل عناصره الفنية والجمالية.

الدراسات السابقة:

*صورة الشعر عند التجاني يوسف بشير : محمد عبد الحي، مجلة آداب - جامعة الخرطوم - كلية الآداب ،العدد ٤/١٩٨١م. لم يتعرض المؤلف لقصيدة (المعهد العلمي) من قريب ولا من بعيد، كما ركز جل عمله على ما قاله التجاني في مقالاته الأدبية، بل صرح المؤلف أنه لا يدرس الصورة الشعرية، حيث قال في مفتتح دراسته: "ولا أقصد بذلك الصورة الشعرية، كمصطلح نقدي، بل أقصد تصور التجاني للشعر."

* الحزن في شعر التجاني يوسف بشير وإدريس جماع : دراسة مقارنة هادية محمد عيسى، ويوسف علي الدويدة، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، مجلد١٩، عدد٣، سبتمبر ٢٠١٨م. ورد ذكر قصيدة (المعهد العلمي)، ضمن ذكر أسباب حزن التجاني(فصله من المعهد العلمي)، مع إيراد أربعة أبيات شاهد على ما قاله لما فصل، دون تحليل فني.

*سيميائية العنوان في ديوان(إشراقة) للتجاني يوسف بشير، مجاهد علي أحمد خليفة، مجلة جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بأسيوط، ع٤٣، ج٤، ١٤٤٥هـ. الدراسة وقفت على سيميائية عنوان الديوان (إشراقة)، ثم ربطته بعنوان القصيدة الأولى فيه (قطرات)، على اعتبارها القصيدة المفتاحية أو المفسرة لمجمل تجربة الشاعر في ديوانه، ثم بيان تجليات العنوان الرئيس في العناوين الداخلية للقصائد.

* التجاني يوسف بشير لوحة وإطار ، عبد القادر فيدوح، فقد درس الباحث الجانب الصوفي في شعر التجاني، فحسب.

* الصورة والتفكير الشعري: دراسة في شعر التجاني يوسف بشير، طلال الطاهر قطبي بشير، أعمال ندوة الصورة والخطاب: قضايا النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس بفاس، ٢٠٠٩م. نظرت الدراسة إلى الصورة من زاوية أخرى، إذ عنى صاحبها بالتفكير الشعري: رؤية الشاعر تجاه الكون والحياة من خلال الشعر، واقفا على الشعر الفلسفي عند التجاني يوسف بشير.

ومما سبق يتبين لنا أن شعر التجاني يوسف بشير حظي باهتمام نقدي واسع، حيث دُرِس من زوايا متعددة ومتباينة، مما يدل على ثراء تجربته الشعرية وعمقها. ومع ذلك، لم تتناول الدراسات السابقة الصورة الشعرية في قصيدته "المعهد العلمي" بشكل مباشر، مما يشكل فجوة بحثية تستدعي الدراسة والتحليل.

من هنا، تنبع أهمية هذه الدراسة التي تسعى إلى تسليط الضوء على تجربة شاعر سوداني فذ، عانى من الظلم والاضطهاد بسبب آرائه وأفكاره التنويرية، فالشاعر، الذي عاش في فترة عصيبة من تاريخ السودان ـ فترة الاستعمار ـ عبر عن صراعه الداخلي ومعاناته من خلال قصائده، التي تعد وثيقة تاريخية وإنسانية هامة.

ونأمل أن يسهم هذا البحث في إثراء الدراسات الأدبية والنقدية، وتقديم رؤية جديدة لقصيدة التجاني يوسف بشير، وللصورة الشعرية في الأدب العربي الحديث، وفي فهم أعمق للصورة الشعرية في الأدب العربي الحديث، وكيف يمكن أن تكون أداة للتعبير عن الذات والمجتمع، فالصورة الشعرية في قصيدة التجاني لا تقتصر على الوظائف الجمالية التقليدية، بل تتجاوز ذلك لتصبح مرآة عاكسة للذات الشاعرة، ومعبرة عن رؤيتها للعالم وقضاياه، وطبيعة القصيدة استدعت تناولها من منظور جديد، يركز على علاقتها بالذات الشاعرة، وتأثير الأزمة النفسية التي عاشها الشاعر في تشكيلها، كما تسعى إلى الكشف عن جماليات هذه الصورة، ووظائفها الفنية والتعبيرية، من خلال اتباع المنهج الوصفي التحليلي، الذي يتيح لنا فهم النص في سياقه التاريخي والاجتماعي، وتحليل عناصره الفنية والجمالية.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة واجهت بعض الصعوبات، مثل صعوبة تحديد المعنى الدقيق لبعض الصور الشعرية، وتعدد التأويلات المحتملة؛ ولكننا نسعى إلى تجاوز هذه الصعوبات من خلال الاعتماد على قراءات متأنية للنص، والاستعانة بالمصادر النقدية والأدبية ذات الصلة.

واقتضت طبيعة هذا البحث أن يتكون من مقدمة، ومدخل، وثلاثة مباحث، وخاتمة، المقدمة تتحدث عن أهمية الموضوع والأسباب التي دفعتني لاختياره. والمدخل تناولت فيه الشاعر ونشأته وشاعريته. وخصصت جزءا نظريا تناولت فيه الإطار النظري للصورة الشعرية. المبحث الأول: الصورة الشعرية كمرآة لذات الشاعر، وأفردته للنقاط التالية : صور الحنين والشوق إلى المعهد، وصور الألم والمعاناة، وصور التحدي والصمود، المبحث الثاني: الصورة الشعرية كأداة للتعبير عن الواقع الاجتماعي والفكري، المبحث الثالث: جماليات المعجم الشعري في قصيدة المعهد العلمي ، والخاتمة التي ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراسة هذه القصيدة .

مدخل

التعريف بالشاعر:

أحمد التجاني بن يوسف بن بشير بن الإمام جزري الكتيابي، شاعر سوداني معروف ولد في بيئة ذات فضل وثقافة دينية محافظة ذات تعاليم وتقاليد في أم درمان عام ١٩١٢م. ولقب بالتجاني تيمناً بصاحب الطريقة المعروفة، وهذا الطابع الديني ظاهر في شعره الصوفي، فهو من رواد شعر الرومانسية الصوفية المتجددة. ثم دُفع وهو صغير إلى خلوة عمه الشيخ محمد الكتيابي، فحفظ القرآن الكريم ومشى في طريقه إلى المعهد العلمي في أم درمان فلم تختلف بيئته، وألم في المعهد بعلوم اللغة العربية والفقه وابتدأ يقرض الشعر بين أنداده. فصل من المعهد لخلاف فكري بينه وزملائه تم تصعيده لمرحلة تكفيره. اتصل بالصحافة ثم اعتكف في منزله وأكبَّ على دراسة كتب الأدب القديم، وكتب الصوفية والفلسفة، وقد استغرقته هذه الدراسات حتى دبَّ إليه الوهن وأصيب بداء الصدر وظل يعاني المرض والفقر والقهر الاجتماعي والسياسي، حتى مات سنة ١٩٣٧م، عن عمر لم يتجاوز الخمس وعشرين سنة، مخلفاً نتاجاً أدبياً غزيراً [1]

قال عنه فالح الحجية في كتابه شعراء النهضة العربية: "التجاني يوسف بشير يمتاز بروعة الشعر وقوته ومتانته وجزالته، فإنه برغم قصر سني عمره التي ما تجاوزت الخمس وعشرين سنة أضاف إلى التراث الأدبي السوداني والعربي ديواناً رائعاً أسماه (إشراقة)".[2]

التعريف بالقصيدة ومناسبتها:

القصيدة واحدة من قصائده في ديوانه (إشراقة) أطلق عليها اسم: (المعهد العلمي)، فالتجاني هو الذي أعطى كل قصائده مسمياتها [٣]، تقع في (اثنين وعشرين) بيتاً من بحر الكامل. كان الشاعر من الطلاب المبرزين في المعهد العلمي، مولعاً بالأدب والفلسفة، وله آراء فيهما تخالف تقاليد المعهديين، مما دفع الطلاب لحسده، فرموه بتهمة الكفر والإلحاد زاعمين أنه فَضَّلَ شعر أحمد شوقي على القرآن الكريم مما أدى إلى فصله من المعهد فكتب هذه القصيدة يعبر فيها عن شعوره نحو المعهد، ويشير إلى ما اتهم به، ويسخر من حاسديه، هناك روايات مختلفة في مناسبة النص، وهذا مفادها. [٤]

مفهوم الصورة الشعرية

مفهوم الصورة قديماً:

الصورة في اللغة: من صور تصوّرت الشيء: توهمت صورته، فتصور لي، والتصاوير: التماثيل،...، والصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته "[٥]" كَثُرَ اهتمام النقاد بالصورة الشعرية - قديما وحديثا - لما لها من مكانة في تحديد قيمة الشعر ووظيفته، وحاولوا إيجاد مصطلح - لها - متفق عليه، ولكن ذلك لم يكن، وبناء على ذلك ظل مفهوم الصورة الشعرية مفهومًا إشكاليًا غير مستقر على حال. سنورد بشيء من الإيجاز بعض ما جاء عن مفهوم الصورة الشعرية عند النقاد القدماء والمحدثين. فقد ظهر منذ القدم عند اليونان: فقد ذهب أرسطو إلى أن الفن محاكاة (تصوير)، فالشعر محاكاة للطبيعة، ولكن الطبيعة ليست محاكاة لعالم عقلي، والشاعر إنما يحاكي الطبيعة، "فالمحاكاة ليست قصراً على إنتاج ما في الطبيعة، أو نقل صورة لها، وليست كذلك وقوفاً من الفنان عند حدود التشابه الخارجي للأشياء، ولكنها محاكاة لجوهر ما في الطبيعة لإكمالها وجلاء أغراضها " [6] ، فالمحاكاة عنده خلق وإبداع، "ويكون الشاعر بهذا شأنه شأن الرسام وكل فنان يصنع الصور . ويختلف عنهم، بأنه يصوّر بالقول الذي يشمل الكلمة الغريبة، والمجاز، وكثيرًا من التبديلات اللغوية" [7]. وقد درسها العديد من النقاد العرب، مثل عبد القاهر الجرجاني، إذ يقول: "ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبّر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه... [٨]، ويقول الجاحظ في سبيل اعتنائه باللفظ والمعنى والتصوير الأدبي : "...، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير

"[٩]. فهو هنا يتحدث عن التصوير، وقد توصل إلى أهمية جانب التجسيم وأثره، في إغناء الفكر بصور حسية قابلة للحركة والنمو، فحينما يكون الشعر جنسًا من التصوير يعني هذا: "قدرته على إثارة صور بصرية في ذهن المتلقي، وهي فكرة تعد المدخل الأول أو المقدمة الأولى للعلاقة بين التصوير والتقديم الحسي للمعنى "[١٠]، ويرى الناقد إحسان عباس أنَّ الشعراء قد استخدموا الصورة الشعرية منذ القدم، حيث يقول: " وليست الصورة شيئًا جديدًا، فإن الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم، ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر وآخر، كما أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في طريقة استخدامه للصور " [١١]. نعم فالاختلاف بين صورة وأخرى لا يقف عند هذا الحد، بل يمكن أن يكون بين قصيدة وأخرى عند شاعر واحد.

مفهوم الصورة الشعرية حديثاً:

انتشرت الصورة الشعرية بمسميات عديدة كالصورة الفنية، أو التصوير في الشعر، أو الصورة الأدبية، ولكن مفهومها عند المحدثين والقدماء لم يختلف كثيراً، كما اتفق جميعهم على مكانتها وأهميتها، لأنها ركن أساس في البناء الشعري، يقول محمد مندور: "واللفظ العادي قد يكتسب قوة شاعرية بارزة إذا دخل في جملة أو تركيب شعري أو صورة بيانية، والشيء الذي يجب أن يحرص عليه الشاعر هو أن يبتعد عن الأسلوب التقريري المسطح الخالي من كل تصوير أو نتوء بياني، والأدب عامة والشعر خاصة لا يلائمه إلا التصوير البياني، أي التعبير عن طريق الصورة"[12] أما مفهوم الصورة الشعرية عند عبد القادر القط فيعني: "الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات. ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص، ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكامنة في القصيدة، مستخدمًا طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب.

والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتّضاد والمقابلة والتّجانس، وغيرها من وسائل التعبير الفني ... والألفاظ والعبارات هي مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني. أو يرسم بها صورة الشعرية [١٣]، ويرى غنيمي هلال : " أن ندرس هنا الصورة الأدبية في معانيها الجمالية، وفي صلتها بالخلق الفني والأصالة، ولا يتيسر ذلك إلا إذا نظرنا لاعتبارات التصوير في العمل الأدبي بوصفه وحدة وإلى موقف الشاعر في تجربته، وفي هذه المجالات تكون طرق التصوير الشعرية وسائل جمال فني، ومصدر أصالة الكاتب في تجربته و تعمقه في تصويرها"[١٤]، فالصورة عنده مرتبطة بالخلق والإبداع والجمال الفني، المستمد من تجربة الأديب في الحياة وحالته النفسية.

والصورة الشعرية عملية تفاعل متبادل بين الشاعر والمتلقي للأفكار والحواس، من خلال قدرة الشاعر على التعبير عن هذا التفاعل بلغة شعرية تستند مثلاً إلى المجاز، والاستعارة والتشبيه؛ والرمز بهدف استثارة إحساس المتلقي واستجابته.

كذلك لا بد من الإشارة إلى أنّ الصورة الشعرية مرتبطة بالخيال؛ فهي وليدة خيال الشاعر وأفكاره؛ إذ يتيح الخيال للشاعر الدخول خلف الأشياء واستخراج أبعاد المعنى؛ لأنها طريقته لإخراج ما في قلبه وعقله إلى المحيط الخارجي ليشارك فكرته مع المتلقي؛ لذلك ينبغي أن يكون الشاعر صاحب خيال واسع؛ لكي يتمكن من تفجير أفكاره وإيصالها إلى المتلقي [١٥].

المبحث الأول: الصورة الشعرية كمرآة للذات الشاعرة

صور الحنين والشوق إلى المعهد:

السحر فيكَ وَفيكَ مِن أَسبابِهِ دِعة المدلِّ بِعَبقري شَبابِهِ
يا مَعهدي وَمَحط عَهد صِباي مِن دارٍ تَطرُق عَن شَبابٍ نابِهِ
قسم البَقاء إِلَيكَ في أَقدارِهِ مَن شادَ مَجدك في قَديمِ كِتابِهِ
وَأَفاضَ فيكَ مِن الهَدى آياتِهِ ومِن الهَوى وَالسحرِ ملء نِصابِهِ
اليَوم يَدفَعُني الحَنين فَأَنثني وَلهان مُضطَرِبا على أَعتابِهِ
سَبق الهَوى عَيني في مِضمارِهِ وَجَرى وَأَجفَل خاطِري مِن بابِهِ

يبدأ التجاني قصيدته بصور تعبر عن حنينه وشوقه إلى المعهد، الذي يمثل بالنسبة له مكانًا للذكريات الجميلة والشباب.

السحر فيكَ وَفيكَ مِن أَسبابِهِ دَعة المدل بِعَبقري شَبابِهِ

في تعبيره "دعة المدل"، يظهر الشاعر مهارة كبيرة في تصوير الحالة النفسية والفكرية. كلمة "دعة" تدل على الهدوء والسكينة، بينما "المدل" تعبر عن الرفعة والعظمة. وإضافة المشبه به إلى صور التشبيه البليغ التي تؤكد على شدة المشابهة بين الطرفين هذا التركيب الجميل يخلق صورة شاعرية تعكس حالة التأمل والاستغراق في لحظات الصفاء الذهني، وتجسيد الجمال في شباب الإنسان

أما "عبقري شبابه"، فتشكل تعبيرًا بلاغيًا عميقًا. فهي تدل على الفترات الذهبية من حياة الشاعر، حيث يظهر ذكاءه وإبداعه في آن واحد. يمكن اعتبارها تمثيل حسي لشبابه المليء بالطاقة والإبداع..

يا مَعهدي وَمَحط عَهدِ صِباي مِن دار تَطرُق عَن شَبابٍ نابِهِ

"يا معهدي" استعارة مكنية:

فالشاعر هنا يشبه المعهد بشخص يناديه، مما يضفي عليه صفة الإنسانية ويظهر مدى قربه منه، فحذف المشبه به (الإنسان) وأبقى على شيء من لوازمه (النداء)، وهذا هو جوهر الاستعارة المكنية.

وتعبير "محط عهد صباي" يكمل الصورة التي بدأها "يا معهدي"، فهو يؤكد على أن المعهد ليس مجرد مكان، بل هو نقطة انطلاق وبداية فترة مهمة في حياة الشاعر، مما يعزز فكرة تجسيد المعهد كشخص وقوله: " من دار تطرق عن شباب نابه" كناية عن المكانة الرفيعة للمعهد وأهميته، فهي لا تصف المعهد بشكل مباشر؛ بل تصف ما يحتويه (شباب نابهون)، لتدل على جودته وتميزه. الكناية هنا تكمن في أن كثرة الشباب النابهين في الدار تدل على أهميته وسموه .

قسم البَقاء إِلَيكَ في أَقدارِهِ مَن شادَ مَجدكَ في قَديمِ كِتابِهِ

تتجلى براعة الشاعر في تصوير عظمة معهده واستمراريته. تبدأ الصورة باستعارة مكنية، حيث تجسد "أقداره" كشخص يقسم ويحدد، مما يضفي على بقاء المعهد طابعًا قدريًا محتومًا. هذه الاستعارة تمنح المعهد صفة الدوام والثبات، وتؤكد على أصالة تاريخه وعراقته.

ثم ينتقل الشاعر إلى كناية بديعة، "من شاد مجدك في قديم كتابه"، حيث يصف كيف أن مجد المعهد تأسس على العلم والمعرفة القديمة. هذه الكناية لا تصف المعهد بشكل مباشر، بل تصف ما يحتويه من تراث علمي غني، لتدل على جودته وتميزه. وفي هذا الجزء، نلمح تشبيهًا ضمنيًا بين بناء المجد وبناء البيت، فالمجد يحتاج إلى أسس متينة مثلما يحتاج البيت إلى أساس.

بهذه الصور البلاغية المتداخلة، يرسم الشاعر صورة متكاملة لمعهده، كمؤسسة راسخة ذات تاريخ عريق، تستمد قوتها من التراث العلمي القديم، وتستمر في أداء رسالتها للأجيال القادمة. قسم البَقاء إِلَيكَ فـي أَقداره.

وَأَفاضَ فيكَ مِن الهَدى آياتـه وَمِن الهَوى وَالسحر ملءَ نِصابهِ

تبرز قدرة الشاعر على الجمع بين المتناقضات لتصوير قوة تأثير معهده. يبدأ البيت باستعارة مكنية بديعة، "أفاض فيك من الهدى آياته"، حيث يجسد الهدى كشيء مادي يفيض وينسكب، مما يضفي على المعهد صورة المصدر الفيّاض للعلم والمعرفة. هذه الاستعارة تبرز دور المعهد في نشر الهدى والإرشاد، وتؤكد على أنه مكان لنشر العلم والمعرفة، ثم ينتقل الشاعر إلى كناية رائعة، "ومن الهوى والسحر ملء نصابه"، حيث يصف جاذبية المعهد وتأثيره القوي الذي يثير العشق والميل، هذه الكناية، "ملء نصابه"، تعبر عن كمال وجاذبية المعهد، وتوحي بأن تأثيره كامل وشامل، وفي هذا الجزء، يستخدم الشاعر أسلوبي الجناس والطباق بين "الهدى" و"الهوى" لإبراز قوة تأثير المعهد، فهو ليس مجرد مكان للدراسة، بل هو مكان يثير في الطلاب مشاعر قوية من الحب والتقدير.

بهذه الصور البلاغية المتداخلة، يرسم الشاعر صورة متكاملة لمعهده، كمؤسسة تجمع بين العلم والمعرفة والجاذبية والتأثير القوي.

اليَوم يَدفَعُنـي الحَنيـن فَأَنثنـي وَلهان مُضطَرِبـا علـى أَعتابِـهِ

تتجلى نفسية الشاعر في أوجها، حيث يصف بدقة حالة الشوق واللهفة التي تنتابه. فيبدأ باستعارة مكنية قوية، "يدفعني الحنين"، حيث يجسد الحنين كقوة خارجية تدفعه وتوجهه، مما يبرز شدة تأثير الشوق عليه، هذه الصورة توحي بأن الحنين قد استولى على الشاعر تمامًا، وأصبح قوة لا تقاوم.

ثم ينتقل الشاعر إلى تصوير حالته النفسية المتأججة، "ولهانَ مضطربًا"، حيث يجمع بين الشوق والقلق. كلمة "ولهان" تعبر عن الشوق الشديد والتعلق، بينما كلمة "مضطربًا" تعكس حالة القلق والتوتر التي تنتابه. هذا الجمع بين المشاعر المتناقضة يبرز عمق المشاعر التي تنتاب الشاعر، ويوضح مدى تأثير المعهد عليه، وفي نهاية البيت، يستخدم الشاعر مجازًا مرسلًا، "على أعتابه"، حيث يعبر الجزء (الأعتاب) عن الكل (المعهد). هذه الصورة توحي بقرب الشاعر من المعهد، وكأنه على وشك الدخول إليه، مما يزيد من حدة الشوق والقلق لديه، بهذه الصور المعبرة المتداخلة، يرسم الشاعر صورة دقيقة لحالته النفسية، ويظهر مدى تأثير المعهد عليه.

سَبق الهَوى عَيني في مِضمـارهِ و َجَرى وَأَجفَل خاطِري مِن بابة

جسد الهوى كشيء مادي يسبق، مما يبرز شدة الشوق الذي كان يشعر به الشاعر، هذه الصورة توحي بأن الشوق كان أقوى من أي شيء آخر، حتى من رؤيته للمعهد نفسه.

ثم ينتقل الشاعر إلى تصوير تأثير دخول المعهد على مشاعره، "وجرى وأجفل خاطري من بابه". هنا، يستخدم الشاعر استعارة مكنية أخرى، "خاطري" مجسد كشيء يجري ويتدفق، مما يبرز تدفق المشاعر الإيجابية التي انتابته لحظة دخوله المعهد. هذه الصورة تعكس مدى تأثير المعهد على مشاعر الشاعر، وكيف أنه كان مكانًا يثير فيه المشاعر الإيجابية، وفي نهاية البيت، يستخدم الشاعر مجازًا مرسلًا، "بابه"، حيث يعبر الجزء (الباب) عن الكل (المعهد). هذه الصورة توحي بتأثير دخول المعهد على مشاعر الشاعر، وكيف أن مشاعره الإيجابية تدفقت عند دخوله.

وهكذا، يرسم الشاعر صورة دقيقة لمشاعره المتدفقة لحظة وصوله إلى المعهد، ويظهر مدى تأثير المعهد عليه.

صور الألم والمعاناة:

بعد صور الحنين، ينتقل التجاني إلى صور تعبر عن ألمه ومعاناته بسبب فصله من المعهد.

ودّعتُ غضّ صباي تحت ظلاله ودفنتُ بيض سني في محرابهِ
ولقيتُ من عنتِ الزيود مشاكلاً وبكيتُ من عمرو ومن إعرابهِ
نضّرتُ فجر سني من أندائه واشترتُ ملء يدي من أعنابهِ
رفع الشباب إليك من أقلامه عُمداً مركّزة على آدابهِ
وتسابقوا للمجد فيك وكلنا عَلِقٌ بحقو المجد من طلابهِ
حتّى يكون المجد وهو مصوّحٌ في الأرض منقلبٌ على أعقابهِ

يصور الشاعر علاقته العميقة والمؤثرة بمعهده. تبدأ الصورة بـ"ودعت غض صباي تحت ظلاله"، حيث يستخدم الشاعر استعارة مكنية بـ"ظلاله"، مجسداً المعهد كشجرة وارفة الظلال، توفر الحماية والرعاية لفترة شبابه النضرة. هنا، "ودعت" لا تعني الاستقرار، بل تعني ترك فترة الشباب وذكرياتها الثمينة في هذا المكان، إنها لحظة فراق حزين، لكنها أيضاً اعتراف بأن المعهد كان حاضناً لفترة مهمة في حياته، ثم ينتقل الشاعر إلى "ودفنت بيض سني في محرابه"، وهي كناية عن قضاء وقت طويل في طلب العلم. هنا، "دفنت" فهي أيضا لا تشير إلى الاستقرار، بل إلى التضحية والتفاني، إنها صورة مؤثرة ترمز إلى سنوات العمر التي ذابت في محراب العلم، وكأنها كنوز دفينة في هذا المكان المقدس. "محرابه" مجاز مرسل عن المعهد، يضفي عليه هالة من القداسة والاحترام.

فالبيت يعكس مشاعر متناقضة: حنين إلى الماضي، وتقدير للمكان الذي شهد أجمل سنوات العمر، وإحساس بالتضحية في سبيل العلم، إنه ليس بيت استقرار، بل بيت ذكريات ووداع، بيت يعبر عن تأثير عميق لمكان على حياة إنسان.

وَلَقيتُ مِن عنت الزيود مَشاكِلاً وَبَكيتُ مِن عمرو وَمِن إِعرابه
نَضرتُ فَجر سني مِن أَندائِهِ وَاشتَرَتُ ملء يَديَّ مِن أَعنابِهِ

كشفت الأبيات عن صراع فكري عميق دار في أروقة المعهد، حيث واجه الشاعر تحديات جمة من فئة تمسكت بالقديم ورفضت التجديد. يرمز بـ"عنت الزيود" و"بكيت من عمرو" إلى هذه الفئة، التي تمثلت في شخصيات من كتب النحو القديمة، مما يشير إلى ارتباطها الوثيق بالتقاليد ورفضها لأي فكر تحرري. هذه الفئة عارضت أفكار الشاعر بعناد شديد، وتسببت له في مشاكل وأحزان.

في المقابل، ظهرت فئة مستنيرة دافعت عن أفكار الشاعر ودعمته في وجه هذه المقاومة. وتعبر عبارة "نضرت فجر سني من أندائه" عن هذه الفئة التي وقفت إلى جانب الشاعر وحمته من هجمات الفئة الرجعية، هذه الفئة المستنيرة لم تكتف بالدفاع عن الشاعر، بل كافأته أيضًا على أفكاره التحررية، كما يتضح من عبارة "واشترت ملء يدي من أعنابه"، التي ترمز إلى المكافآت والفوائد التي جناها الشاعر بفضل دعمهم.بهذا التناقض، يصور الشاعر صراعًا فكريًا حادًا بين فئتين متناقضتين، فئة تمثل الماضي بكل تقاليده، وفئة تمثل المستقبل بكل ما فيه من تجديد. هذا الصراع يعكس طبيعة المعهد كبيئة فكرية حيَّة، تشهد صراعات بين الأجيال والأفكار.

صور التحدي والصمود: رغم الألم والمعاناة، يُظهر التجاني صورًا تعبر عن تحديه وصموده.

رفع الشباب إليك من أقلامه عُمداً مركّزة على آدابهِ
وتسابقوا للمجد فيك وكلنا عَلِقٌ بحقو المجد من طلابهِ
حتّى يكون المجد وهو مصوّحٌ في الأرض منقلبٌ على أعقابهِ
صُوراً مُوَثّقة العَرى في ناشئ حدث مُصورة عَلى أَعصابِهِ
وَالمَجد أَجدَر بِالشَباب وَإِنما لِلناس موجدة عَلى أَصحابِهِ

هُوَ مَعهَدي وَلَئن حَفظتُ صَنيعه فَأَنا ابن سرحته الَّذي غَنـى بِـهِ
فَأَعيذ ناشئة التُّقـى أَن يرجفـوا بِفَتى يَمُت إِلَيـهِ فـي أحسابـهِ
ما زِلتُ أَكبَر في الشَبابِ وَأَغتَدي وَأَروح بَينَ بخٍ وَيا مَرحى بِـهِ

تتجلى عدة مظاهر جمالية تبرز انتصار الفكر التحرري الذي دافع عنه الشاعر، فتبدأ الصورة بكناية بليغة، "رفع الشباب إليك من أقلامه"، حيث تمثل "الأقلام" الكتابات والأفكار التي قدمها الشباب إلى المعهد، هذه الكناية توحي بأن الشباب كانوا يكتبون وينشرون أفكارهم بحرية، وأنهم يعتبرون المعهد مكانًا لنشر هذه الأفكار، ثم ينتقل الشاعر إلى كناية أخرى، "عمدا مركزة على آدابه"، حيث يشير إلى أن كتابات الشباب كانت تهدف إلى نشر الأخلاق والقيم الحميدة، هذ بالإضافة إلى الكنايات، يبرز البيت صورة جميلة للشباب كجيل جديد يحمل مشعل التغيير؛ هذه الصورة تعكس انتصار فكر التجديد الذي دافع عنه الشاعر، وتؤكد أن جهوده لم تذهب سدى.

بهذه المظاهر الجمالية المتداخلة، يرسم الشاعر صورة متكاملة لانتصار الفكر التحرري، ويظهر كيف أن الشباب قد تبنوا أفكاره وسعوا إلى نشرها .

وَتَسابَقوا لِلمَجد فيكَ وَكُلنـا علق بِحَقو المَجد مِن طُلابـهِ

أبرز الشاعر روح التنافس الشريف بين الطلاب وسعيهم لتحقيق المجد في المعهد، فتبدأ الصورة بكناية بليغة، "تسابقوا للمجد"، حيث تشير هذه العبارة إلى السعي الدؤوب نحو التفوق والتميز. هذه الكناية توحي بأن المعهد كان بيئة محفزة للطلاب، تدفعهم إلى التنافس الشريف لتحقيق أعلى المراتب.
ثم ينتقل الشاعر إلى كناية أخرى، "علق بحقو المجد"، حيث يؤكد على أن الطلاب حصلوا على المجد باستحقاق وجدارة، هذه الكناية تبرز اجتهاد الطلاب وتميزهم، وأنهم لم يحصلوا على المجد إلا بعد بذل الجهد والسهر والعرق، بالإضافة إلى الكنايات، يبرز البيت صورة جميلة للمعهد كبيئة محفزة للشباب. هذه الصورة تعكس دور المعهد في تخريج الطلاب المتميزين، الذين يسعون إلى تحقيق المجد لأنفسهم ولمجتمعهم.

بهذه المظاهر البلاغية المعبرة عن الموقف يرسم الشاعر صورة متكاملة للمعهد كمؤسسة تعليمية رائدة، تسعى إلى تخريج الطلاب المتميزين، الذين يتنافسون لتحقيق المجد لأنفسهم ولمجتمعهم.

حَتّى يَكون المَجد وَهُوَ مصـوح في الأَرض مُنقَلب عَلى أَعقابـه

يبرز الشاعر قوة تأثير المجد الذي حققه طلاب المعهد، ويؤكد على أنه سيحدث تغييرًا جذريًا في العالم. تبدأ الصورة بكناية بليغة، "المجد وهو مصوح"، حيث تشير كلمة "مصوح" إلى الوضوح والظهور. هذه الكناية توحي بأن المجد الذي حققه الطلاب سيكون واضحًا للعيان، وسيراه الجميع، ثم ينتقل الشاعر إلى كناية أخرى، "في الأرض منقلب على أعقابه"، حيث يشير إلى أن هذا المجد سيحدث تغييرًا جذريًا في العالم. هذه الكناية تعبر عن تحول كامل في الواقع، وأن المجد سيقلب الأوضاع رأسًا على عقب. والبيت صورة جميلة للمجد كقوة قادرة على تغيير الواقع. هذه الصورة تعكس ثقة الشاعر في قدرة الطلاب على تحقيق تغيير إيجابي في العالم، وأنهم قادرون على صنع مستقبل أفضل.بهذه المظاهر البلاغية المتداخلة، يرسم الشاعر صورة متكاملة للمجد الذي حققه طلاب المعهد، ويظهر كيف أنه سيحدث تغييرًا جذريًا في العالم.

صُوراً مُوَثَقة العُرى في ناشئ حدث مُصورة عَلـى أَعصابِـهِ

تظهر براعة الشاعر في تصوير تأثير المجد الذي حققه طلاب المعهد على الأجيال الناشئة. تبدأ الصورة بكناية بليغة، "صوراً موثقة العُرَى"، حيث تشير "صوراً موثقة" إلى حفظ الحدث وتسجيله في الذاكرة، بينما ترمز "العُرَى" إلى الروابط والعلاقات القوية. هذه الكناية توحي بأن الحدث لم يكن عابراً، بل تم توثيقه وتخليده في نفوس الأجيال الناشئة، وأن هذا الحدث أسهم في تقوية الترابط الاجتماعي والوطني، ثم ينتقل الشاعر إلى كناية أخرى، "حدث مصورة على أعصابه"، حيث يشير

إلى أن هذا الحدث تم تصويره في أعماق نفوس الناس. هذه الكناية تعبر عن التأثير العميق الذي تركه الحدث في النفوس، وكأنه صورة محفورة في الذاكرة كما يتضمن البيت تشبيهاً ضمنياً للحدث بالصورة التي تُحفر في الذاكرة، مما يدل على قوّة تأثيره وبقائه في النفوس. وهكذا، رسم الشاعر صورة متكاملة لتأثير المجد الذي حققه طلاب المعهد على الأجيال الناشئة، ويظهر كيف أن هذا المجد قد تم توثيقه وتصويره في نفوس الناس.

وَالمَجد أَجدَر بِالشَبـاب وَإِنمـا لِلناس موجـدة عَلـى أَصحابـهِ

يتجلى صراع داخلي وخارجي يواجهه الشباب الطموح في سعيهم نحو المجد. يبدأ البيت بتقرير حقيقة واضحة، "والمجد أجدر بالشباب"، مؤكدًا على أن الشباب هم الفئة الأحق والأجدر بتحقيق المجد، وكأن المجد لا يكتمل إلا بهم. ثم يأتي بـ"وإنما" ليقدم أسلوب قصر، لكنه لا يحصر المجد بالشباب، بل يحصر وجود "موجدة" الناس على أصحاب المجد، لِلنَّاسِ مَوْجِدَةٌ عَلَى أَصْحَابِهِ" هنا تكمن الكناية، فـ "موجدة" تحمل معاني الغيظ والحسد، وأحيانًا الوجد والتأثر الشديد. هذه الكناية تكشف عن الجانب المظلم للنجاح، فهو ليس دائمًا موضع ترحيب، بل قد يثير مشاعر سلبية لدى بعض الناس، بهذا التناقض، فقد رسم الشاعر صورة واقعية للشباب الطموح، فهم من جهة يستحقون المجد بجدارة، ومن جهة أخرى يواجهون تحديات اجتماعية ونفسية، حيث قد يثير نجاحهم الحسد والغيرة. البيت يبرز أيضًا قوة تأثير المجد، فهو ليس مجرد إنجاز شخصي، بل حدث يثير مشاعر قوية لدى المجتمع بأسره.

هُوَ مَعهَدي وَلَئن حَفظتُ صَنيعه فَأَنا اِبن سرحتهِ الَّذي غَنـى بـهِ

يختتم الشاعر أبياته بصورة مؤثرة تعبر عن عمق ارتباطه بمعهده وتقديره لفضله عليه. تبرز عبارة "فأنا ابن سرحته" كأكثر الصور البلاغية دلالة في هذا البيت، حيث تتداخل فيها عناصر التشبيه والاستعارة لتكوّن صورة فنية غنية بالمعاني.

يمكن النظر إلى عبارة "فأنا ابن سرحته" على أنها تشبيه بليغ، حيث شبه الشاعر نفسه بابن الشجرة الكبيرة (السرحة)، وحذف أداة التشبيه ووجه الشبه. هذا التشبيه يعبر عن مدى قرب الشاعر من معهده، وكيف أنه يعتبره جزءًا لا يتجزأ من هويته، وكأنه ينتمي إليه انتماء الابن لأبيه.

في الوقت نفسه، يمكن أن نعد هذه العبارة استعارة مكنية، حيث شبه المعهد بالشجرة الكبيرة (السرحة)، وحذف المشبه به (الشجرة)، وأبقى على شيء من لوازمه (ابن). هذه الاستعارة تجسد المعهد كمصدر للحياة والنمو، وكمكان يوفر الحماية والرعاية لطلابه.

هذا التداخل بين التشبيه والاستعارة في الكناية يضفي على العبارة قوة وتأثيرًا، ويجعل الصورة أكثر وضوحًا وجمالًا. فالشاعر لا يكتفي بتشبيه نفسه بابن المعهد، بل يجسد المعهد نفسه كأنه أب

أو أم حاضنة، مما يعمق من إحساسه بالانتماء والامتنان.

بهذا الشكل، تتكامل الصور البلاغية لتكوّن صورة مؤثرة ومعبرة عن تقدير الشاعر لمعهده، وتبرز الدور المحوري الذي لعبه المعهد في حياته.

وفي قوله "أُعِيذُ نَاشِئَةَ التُّقَى أَنْ يَرْجُفُوا بِفَتًى يَمُتُ إِلَيْهِ فِي أَحْسَابِهِ"، يرسم صورة لبداية صراع أو مواجهة بين فئتين من المجتمع. يبدأ البيت بـ "أُعِيذُ"، والتي تحمل معنى الحماية والتحصين، مما يشير إلى أن الشاعر يسعى لحماية فئة "نَاشِئَةَ التُّقَى"، وهم الشباب المتدينون الذين يتميزون بالورع والتقوى، وهذه الفئة تشعر بالذعر والخوف، كما يوضح الفعل "يَرْجُفُوا"، والذي يحمل معنى الارتعاد والفزع الشديد. مصدر هذا الخوف هو "فَتًى يَمُتُ إِلَيْهِ فِي أَحْسَابِهِ"، أي شاب يتمتع بحسب ونسب قويين ومؤثرين، فالبيت يستخدم الكناية للتعبير عن شدة الخوف وعراقة النسب، ويستخدم أسلوبًا خبريًا للتأكيد على حقيقة الخوف. كما يمكن اعتبار "أُعِيذُ" استعارة مكنية، حيث شبه حماية الشباب المتدينين باللجوء إلى الله.

بهذا الشكل، يرسم الشاعر صورة لبداية صراع بين فئتين، فئة تتمثل في الشباب المتدينين الذين يشعرون بالخوف، وفئة تتمثل في الشاب ذي النسب العريق الذي يثير هذا الخوف. البيت يفتتح القصيدة بصورة قوية ومؤثرة، تجذب انتباه القارئ وتدفعه للتساؤل عن طبيعة هذا الصراع وأسبابه.

ما زِلت أَكبَر في الشَباب وَأَغتَدي وَأَروح بَينَ بخٍ وَيا مَرحى بِهِ

وهنا يرسم الشاعر صورة لشبابه المليء بالقوة والنشاط، والمكانة الاجتماعية العالية التي كان يتمتع بها. يبدأ البيت بـ "مَا زِلْتُ أَكْبُرُ فِي الشَّبَابِ وَأَغْتَدِي"، وهي كناية عن القوة والنشاط الذي كان يتمتع به الشاعر في شبابه. فالفعل "أَكْبُرُ" يشير إلى النمو والازدياد في القوة، والفعل "أَغْتَدِي" يشير إلى النشاط والحركة في الصباح الباكر، مما يعكس حيوية الشاعر وطاقته.

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف مكانته الاجتماعية، "وَأَرُوحُ بَيْنَ بَخٍ وَيَا مَرْحَى بِهِ"، وهي كناية عن المكانة العالية التي كان يتمتع بها الشاعر في مجتمعه. فكلمة "بَخٍ" تعبر عن الإعجاب والتقدير، وعبارة "يَا مَرْحَى بِهِ" تعبر عن الترحيب والتهنئة. هذا يعكس مدى حب الناس وتقديرهم للشاعر.

بهذه الصور البلاغية، يرسم الشاعر صورة لشاب قوي ونشيط يحظى بتقدير وإعجاب الناس. فالشاعر لا يكتفي بوصف قوته ونشاطه، بل يبرز أيضًا مكانته الاجتماعية الرفيعة، مما يعكس ثقته بنفسه واعتزازه بشبابه .

المبحث الثاني: الصورة الشعرية كأداة للتعبير عن الواقع الاجتماعي والفكري

في هذا المبحث، نركز على كيفية استخدام التجاني للصورة الشعرية لتصوير الواقع الاجتماعي والفكري في السودان خلال فترة كتابة القصيدة، وهنا سنركز على الأبيات التي تعكس بعض القضايا، منها :

الصراع بين قوى التجديد والتقليد:

وَلَقيتُ مِن عنت الزيود مَشاكِلاً ُ مِن عمرو وَمِن إعرابِهِ
نَضرت فَجر سنـي مِن أَندائِهِ وَاِشتَرَتُ ملء يَديَّ مِن أَعنابِهِ
رَفع الشَباب إِلَيكَ مِن أَقلامِهِ عُمدا مركزة عَلى آدابِهِ

يُجسد النص صراعًا محتدمًا بين قوى التجديد والتقليد، حيث يُعاني الشاعر من وطأة "الزيود"، "عمرو"، و"الإعراب" - وهي رموز لقوى التقليد التي تُعيق التقدم وتُكبل الإبداع، ففي قوله: "ولقيت من عنت الزيود مشاكلاً وبكيت من عمرو ومن إعرابه"، نلمح الاستعارة المكنية في كلمة "عنت"، حيث يُصور التقليد وكأنه عبء ثقيل يُثقل كاهل المجدد، ويُظهر الشاعر في قوله "بكيت"، مدى الألم والحزن الذي يُسببه له هذا الصراع، وفي المقابل، تحاول قوى التقليد إغراءه بالملذات والمغريات، كما في قوله: "نضرت فجر سني من أندائه واشترت ملء يدي من أعنابه"، حيث نجد هنا استعارة في "فجر سني من أندائه" حيث تُصور الذكريات وكأنها كنز يُفجر، و"أعنابه" استعارة مكنية حيث صور الذكريات بشيء مادي يشتار، وهذا يُظهر كيف أن قوى التقليد تُحاول استغلال عواطف الشاعر وذكرياته لإثنائه عن التجديد؛ لكن الشاعر يجد الدعم والمساندة من قوى التجديد، كما في قوله: "رفع الشباب إليك من أقلامه"، حيث استخدم هنا المجاز المرسل في كلمة الشباب، وفي مجمل النص، نرى أن الشاعر يُصور العالم كساحة للصراع بين هاتين القوتين، حيث تسعى قوى التقليد إلى "إخماد أي صوت يدعو إلى التغيير"، حيث استخدم الاستعارة التصريحية، وفي الختام، يتبين لنا أن الشاعر يُوظف الرمزية والاستعارة والطباق والمجاز المرسل ببراعة لتجسيد هذا الصراع وإبراز أهميته، ويُظهر أيضًا كيف أن الشاعر يُواجه صراعًا داخليًا بين جاذبية الماضي وضرورة الحاضر.

السلطة في مواجهة الحرية والتعبير عن الرأي :

حَتّى رُميتُ وَلَستُ أَول كَوكَبٍ نَفس الزَمان عَلَيهِ فَضل شِهابِهِ
قالوا وَأرجفتْ النُفوسِ وَأَوجفتْ هَلَعاً وَهاجَ وَماجَ قُسورِ غابِهِ
كفر ابن يوسف مِن شَقي وَأَعتَدى وَبَغى وَلَستُ بِعابِئ أَو آبِهِ
قالو احرقُوه بل اصلبوه بل انسفوا للريح ناجس عظمه وإهابِهِ
وَلَو أَنَّ فَوق المَوتِ مِن مُتلمس لِلمَرء مُدَّ إِلَي مِن أَسبابِهِ

في البيت "قَالُوا وَأَرْجَفَتِ النُّفُوسُ وَأَوْجَفَتِ هَلَعًا وَهَاجَ وَمَاجَ قَسْوَرُ غَابِهِ"، تتجلى براعة الشاعر في تصوير مشهد يثير الرعب والاضطراب في النفوس. يبدأ البيت بوصف ردة فعل الناس، "قَالُوا وَأَرْجَفَتِ النُّفُوسُ وَأَوْجَفَتِ"، حيث يستخدم الكناية للتعبير عن شدة الخوف والفزع الذي أصابهم، مؤكدًا على اضطراب النفوس وتسارعها في الهلع.

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف ردة فعل "قَسْوَرُ غَابِهِ"، وهو كناية عن الاتجاه المعارض للشاعر، والذي يمتلك قوة ونفوذًا كبيرين. هنا، يستخدم الشاعر الاستعارة المكنية، حيث يشبه مدير المعهد بقسور الغابة الذي يهلع ويهيج ويموج، مما يجسد مدى تأثير الحدث المرعب على هذا الاتجاه، وكيف أنه يثير فيه الخوف والاضطراب الشديدين. كلمة "غَابِهِ" تحمل دلالات متعددة، فهي ليست مجرد إشارة إلى مكان جغرافي، بل ترمز إلى البيئة التي يسيطر عليها الاتجاه المعارض، وهي بيئة مليئة بالمخاطر والمجهول، ومكان للقوة والسلطة، ومخبأ للأعداء، وربما ترمز إلى المجتمع أو البيئة

الفكرية التي يسيطر عليها هذا الاتجاه، يُضاف إلى ذلك الجناس الناقص بين كلمتي "أرجفت" و"أوجفت"، الذي يؤكد على شدة الخوف والفزع، ويخلق إيقاعًا موسيقيًا جميلًا، ويوضح مدى تأثير الحدث المرعب على النفوس. كما يظهر جناس غير تام في "هَاجَ وَمَاجَ" يخلق إيقاعًا متسارعًا ويعكس حالة الهلع والاضطراب، ثم ينتقل الشاعر إلى تصوير الاتهامات التي توجه إليه، "كَفَرَ ابْنُ يُوسُفَ مَنْ شَقِي وَاعْتَدَى وَبَغَى"، وهي كناية عن اتهامه بالكفر والخروج عن الدين، والاعتداء على القيم السائدة. لكن الشاعر لا يكترث بهذه الاتهامات، ويعلن "وَلَسْتُ بِعَابِئٍ أَوْ آبِهِ"، في كناية عن عدم مبالاته بآراء الآخرين.

ولا تقتصر المواجهة على الاتهامات، بل تتصاعد إلى تهديدات صريحة بالعنف والإبادة، "قَالُوا احْرِقُوهُ بَلِ اصْلِبُوهُ بَلِ انْسِفُوا لِلرِّيحِ نَاجِسَ عِظَمِهِ وَإِهَابِهِ"، وهي كناية عن شدة العداء الذي يكنه الاتجاه المعارض للشاعر. هنا، يستخدم الشاعر أسلوب الأمر، الذي يدل على قوة الاتجاه المعارض وسيطرته، ويجسد مدى تصميمهم على إسكات صوت الشاعر.

ورغم كل هذه التحديات، يعلن الشاعر عن استعداده للموت في سبيل أفكاره، "وَلَوْ أَنَّ فَوْقَ الْمَوْتِ مِنْ مُتَلَمَّسٍ لِلْمَرْءِ مُدَّ إِلَيَّ مِنْ أَسْبَابِهِ"، وهي كناية عن عدم خوفه من أي تهديد. هذا الاستعداد يعكس مدى إيمان الشاعر بأفكاره، وكيف أنها تستحق التضحية بحياته.

بهذه الصور البلاغية المتناسقة والمعبرة عن الموقف ، يرسم الشاعر صورة مؤثرة لصراع بين الأفكار التحررية أو التجديدية والقوى المحافظة، ويجسد إصراره على التعبير عن أفكاره، حتى لو كلفه ذلك حياته. فالقصيدة بمثابة شهادة على قوة الإرادة والإيمان بالمبادئ، ودعوة للتفكير الحر وقد كانت الحرية والتعبير ركيزتين أساسيتين في رؤية التجاني يوسف بشير للعالم، فقد تجلت في قصيدته، صورٌ راسخةٌ لتصميمه على التمسك بآرائه، مما يعكس رؤيته للعالم كفضاءٍ رحبٍ يجب أن تُظللهُ الحرية.

المبحث الثالث : جماليات المعجم الشعري في قصيدة "المعهد العلمي "

استخدم الشاعر التجاني يوسف بشير معجمًا لغويًا دقيقًا ومُعبرًا، يُجسد بدقة حالاته النفسية المتقلبة، ويعكس رؤيته للعالم من حوله. فقد تنوعت الألفاظ لتُعبّر عن مشاعر الحنين والشوق، ثم لتنتقل إلى وصف قسوة السلطة، وتختتم بمزيج من اليأس والأمل، وقد جاءت هذه الألفاظ متوافقةً تمامًا مع الأغراض التي استخدمها الشاعر، مما جعل القصيدة أكثر تأثيرًا وإيحاءً.

- الحنين والاشتياق:

استخدامه للألفاظ المعبرة عن حنينه وشوقه للمكان الذي كوّن فكره وأضاء قلبه، كانت معبرة تماما عن حالته فكلمة "معهدي" في بداية القصيدة تشير إلى مكان العلم والتعلم، وتحمل في طياتها دلالة أعمق على الانتماء والارتباط الوجداني.

"سرحته": هذا اللفظ يحمل دلالتين رئيسيتين: مكان الظل والراحة، ورمزية لمكان العلم والتحرر.

" غنَّى": هذا اللفظ يعبر عن السعادة والفخر، ويجسد فرحة الشاعر بالانتماء إلى هذا المكان.

هذه الألفاظ تُجسد حالةً من السكينة والراحة، وتُعبّر عن ارتباط الشاعر الوثيق بالمكان الذي يرمز إلى العلم والمعرفة، وعندما انتقل إلى قسوة السلطة، وبطشها واستبدادها استخدم ألفاظا مثل: " كفر "اعتدى"، "بغى" تُشير إلى تجرؤ السلطة على القيم الأخلاقية، واستخدامها للقوة المفرطة ضد الأبرياء، وتجاوزها لحدودها ، كذلك : "احرقوه"، "اصلبوه"، "انسفوه": هذه الأفعال تُظهر مدى قسوة السلطة ورغبتها في تدمير المعارضين لها والتنكيل بهم" ناجس": هذا اللفظ يُعبّر عن مدى احتقار السلطة للإنسان وكرامته..

- اليأس والأمل:

في نهاية القصيدة، استخدم الشاعر ألفاظًا تُعبّر عن مزيج من اليأس والأمل، مثل: "الموت"، "متلمس"، "أسبابه": هذه الألفاظ تُشير إلى فقدان الأمل في الحياة، والبحث اليائس عن مخرج من الأزمة، والشعور بالعجز أمام قوى الشر.

تُجسد هذه الألفاظ صراعًا داخليًا عميقًا، تُعبر عن قسوة الواقع وتُظهر إصرار الشاعر على التحدي والصمود. لقد استخدم الشاعر ألفاظًا قوية ومؤثرة، جعلت من شعره وثيقة تاريخية تدين الاستبداد وتعلي من قيم الحرية والكرامة، لقد نجح الشاعر في تجسيد مشاعره وأفكاره بصدق ووضوح، ونقلها إلينا بكل ما فيها من ألم وأمل. وهناك جماليات بلاغية في تكرار الأفعال التي تدل على العنف، لتوضح مدى القسوة التي عاناها الشاعر.

خاتمة

في ختام هذا البحث، نجد أنفسنا أمام شاعرية متفردة تجلت في قصيدة "المعهد العلمي" للتجاني. لقد استطاع الشاعر أن يوظِّف الصورة الشعرية بمهارة فائقة، ليخلق عالمًا فنيًا متكاملًا، يعكس رؤيته الخاصة للعالم والحياة.

لقد تميزت صور التجاني في هذه القصيدة بالثراء والتنوع، حيث استخدم مختلف أنواع الصور، من حسية وبصرية وسمعية، إلى مجازية واستعارية. وقد أسهم هذا التنوع في إضفاء حيوية وديناميكية على النص، وجعله أكثر جاذبية وإيحاءً.

ومن خلال تحليلنا، لاحظنا أن الشاعر قد اعتمد على تقنيات تصويرية مبتكرة، لخلق صور شعرية فريدة ومميزة. وقد أسهمت هذه التقنيات في إبراز جماليات النص، وإظهار قدرة الشاعر على التعبير عن أفكاره ومشاعره بأسلوب فني رفيع.

كما أن صور التجاني في هذه القصيدة تحمل دلالات ثقافية وفكرية عميقة، تعكس وعي الشاعر بقضايا عصره، وتفاعله معها. وهذا البعد الثقافي والفكري هو ما يميز شعر التجاني، حيث يسعى إلى التعبير عن رؤية شاملة للعالم والإنسان.

وفي الختام، نؤكد أن دراسة الصورة الشعرية في قصيدة "المعهد العلمي" تفتح آفاقًا جديدة لفهم شعر التجاني، وتكشف عن قدرته على توظيف الصورة كوسيلة للتعبير عن رؤى فنية وثقافية وفكرية. ونأمل أن يكون هذا البحث قد أسهم في إلقاء الضوء على هذا الجانب المهم من شعر التجاني، وأن يكون قد فتح الباب أمام مزيد من الدراسات والأبحاث في هذا المجال.

الهوامش :

1) ينظر : هادية محمد عيسى : الحزن في شعر التجاني يوسف بشير وإدريس جماع - دراسة مقارنة، هادية محمد عيسى، ويوسف علي الدويدة، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، مجلد ١٩، عدد ٣، سبتمبر ٢٠١٨م، ص ٤ و ٥.
2) فالح الحجية: (موسوعة شعراء العربية)، شعراء النهضة العربية.
https://unionawi.com/vb/showthread.php?8644
٣) ينظر : مجاهد علي أحمد خليفة : سيميائية العنوان في ديوان (إشراقة) للتجاني يوسف بشير ، المجلة العلمية - كلية اللغة العربية بأسيوط - ج ٤ ، ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م ، ص ٢٤.
٤) ينظر : منال أحمد الطيب : المرفوعات في شعر التجاني يوسف بشير ، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٢٩ / ٢٠٠٨م، ص ١٧.
٥) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، مادة صور، ج ٨، ص ٣٠٤.
٦) محمد غنيمي هلال النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٤٨.
٧) نظرية المحاكاة عند حازم القرطاجني، من خلال كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، د. حبيب الله علي إبراهيم علي، الجامعة الإسلامية بأم درمان (السودان)، مجلة الأثر، ع١٣ ، ٢٠١٢م.
٨) عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠ ، ص ٢٦٥.
٩) عمرو بن بحر الجاحظ، "الحيوان"، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت، جـ ٣ ص (١٣٢).
١٠) جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط٣، بيروت، ١٩٩٢، ص: (٢٦٠).
١١) إحسان عباس: فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٥٩، ص ٢٣٠.
١٢) الأدب وفنونه، محمد مندور، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٦، ص ٤٠.
١٣) عبد القادر القط، "الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨١م، ص: (٣٩١).
١٤) محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، نهضة مصر، مصر ، ط 1 ، ٢٠٠٥ م ص ٣٨٧، ينظر : البلاغة العربية " البيان والبديع : د. عزة محمد جدوع ، المتنبي ، السعودية ، ط3 ص 25/ 24
١٥) ينظر موقع الدكتور عبده منصور المحمودي ، في الأدب والنقد والتحليل الأنثروبولوجي والثقافي:
https://dr-almahmoodi.com/%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%88%D8%B1%D8%A9-D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D8%A9%/

مصادر البحث ومراجعه :

- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، مادة (ص و ر) .
- إحسان عباس: فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٥٩م.
- جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط٣، بيروت، ١٩٩٢م.
- حبيب الله علي إبراهيم علي، نظرية المحاكاة عند حازم القرطاجني، من خلال كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، الجامعة الإسلامية بأم درمان (السودان)، مجلة الأثر، ع١٣ ، ٢٠١٢م.
- عبد القادر القط، "الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨١م .
- عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠ م.
- عزة محمد جدوع ، البلاغة العربية " البيان والبديع : المتنبي ، السعودية ، ط3 .
- عمرو بن بحر الجاحظ، "الحيوان"، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت .
- مجاهد علي أحمد خليفة : سيميائية العنوان في ديوان (إشراقة) للتجاني يوسف بشير ، المجلة العلمية - كلية اللغة العربية بأسيوط - ج ٤، ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م .
- محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، نهضة مصر، مصر، ط 1 ، ٢٠٠٥ م .
- محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م.
- محمد مندور، الأدب وفنونه، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٦م.
- منال أحمد الطيب : المرفوعات في شعر التجاني يوسف بشير ، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٢٩ / ٢٠٠٨.
- هادية محمد عيسى، ويوسف علي الدويدة، الحزن في شعر التجاني يوسف بشير وإدريس جماع - دراسة مقارنة، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، مجلد ١٩، عدد ٣، سبتمبر ٢٠١٨م.

المواقع الإلكترونية :

- موقع الدكتور عبده منصور المحمودي ، في الأدب والنقد والتحليل الأنثروبولوجي والثقافي: https://dr-almahmoodi.com/%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%88%D8%B1%D8%A9-%/D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D8%A9
- فالح الحجية: (موسوعة شعراء العربية)، شعراء النهضة العربية. https://unionawi.com/vb/showthread.php?8644